ما اختص به الإمام أحمد

واختص الإمام أحمد على أقرانه بأمور: ... ومنها معرفتُه فقهَ الحديث وفهمُه، وحلالَه وحرامَه ومعانِيَه، وكان أعلم أقرانه بذلك كما شهد به الأئمة من أقرانه، كإسحاق وأبي عُبيد وغيرهما.

ومن تأمَّل كلامَه في الفقه وفَهِمَ مأْخَذَه ومدارِكَه فيه، علِمَ قوةَ فَهمِه واستنباطِه.

ولدقة كلامه في ذلك، ربما صعُب فهمُه عَلَى كثير من أئمة أهل التصانيف ممن هو عَلَى مذهبه، فيعْدِلون عن مآخذه الدقيقة إِلَى مآخذَ أُخر ضعيفةٍ يتلقَّوْنها عن غير أهل مذهبه، ويقع بسبب ذلك خللٌ كثير في فَهْمِ كلامِه، وحمله عَلَى غيرِ محامِلِه.

ولا يحتاج الطالبُ لمذهبه إلا إِلَى إمعانٍ وفَهْمِ كلامه.

وقد رئي من فَهْمِه وعلْمِه ما يقضى منه العجب، وكيف لا، ولم يكن مسألة سبق للصحابة والتابعين ومن بعدهم فيها كلامٌ؛ إلا وقد علِمَه وأحاط علمه به، وفهِمَ مأخذَ تلك المسألة وفقهَها، وكذلك كلام عامة فقهاء الأمصار وأئمة البلدان كمالك، والأوزاعي، والثوري، وغيرهم...

فإنَّ مُهنا بن يحيى الشامي عرض عليه عامةَ مسائل الأوزاعي وأصحابه، فأجاب عنها.

وجماعةٌ عرضوا عليه مسائل مالك وفتاويه من الموطأ وغيره، فأجاب عنها. وقد نقل ذلك عنه حنبل وغيره.

وإسحاقُ بن منصور عرض عليه عامةَ مسائل الثوري، فأجاب عنها.



وكان أولًا قد كَتَبَ كُتُبَ أصحاب أبي حنيفة وفهمها، وفهم مآخذهم في الفقه ومداركهم، وكان قد ناظر الشافعي وجالسه مُدّة وأخذ عنه.

وشهد له الشافعيُّ رضي الله عنه تلك الشهاداتِ العظيمةَ في الفقه والعلم، وأحمد مع هذا شاب لم يتكهل.

المصدر: رسالة الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة

